شرح نور اليقين في سيرة سيد المرسلين (1)

عد د الساعات الدراسية	عدد الدورات	عد د الأيام
ساعتان	دورة واحدة	يوم واحد

1.فهرس الدورة

- مقدمة الشارح
- مقدمة الكاتب
- النسب الشريف
- زواج عبدالله بآمنة وحملها.
- حادثة شق الصدر
- وفاة آمنة وكفالة عبد المطلب ووفاته وكفالة أبي طالب
- السفر إلى الشام
- حرب الفجار
- حلف الفضول
- رحلته إلى الشام المرة الثانية
- زواجه خديجة
- بناء البيت

مقدمة الشارح

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم. أما بعد

اخترنا أن يكون درسنا في السيرة النبوية لأسباب منها:

1- أن نعرف حال النبي نسبا وشرفا وعبادة وخلقا وجميع الأحوال؛ لأن هذا يزيدنا إيامنا به

2- أمن نتعرف الحكام التي ترتب على هذه السـيرة في حال الحرب والسـلم والشـدة والرخاء والغضب

3- أن كثيرا من السيرة النبوية لها علاقة بالقرآن الكريم فنحتاج إلى فهمها حتى نطبق ما جاء فيها على القرآن.

4- أنه لا يليق بنا كأمة الإســلام أن نكون جاهلين بحاله وســيرته، يعني قد يســأل أحدنا عن أديب من الأدباء فيعرف حاله ويسـأل بعص النبي عن سـيرة النبي ولا يعرف شـيئا وقراءة السيرة فيها مصالح كثيرة

والكتاب هذا لا يخلو من النقص كما هو العادة في أي كتاب مؤلف كما ذكر ففي كتاب القواعد الفقهية" يأبي الله العصــمة في كتاب غير كتابه، لكن المنصــف من اغتفر قليل خطأ المرء في كثير صــوابه " ونســأل لله عز وجل أن يوفقنا في تخريج ما يحتاج لتخريج وفي التعليق عليه فيكون في هذا مصلحة كبيرة للكتاب ومؤلفه وللقارئ لابد أن تتوافر فيه ثلاثة شروط أن يكون حسن الصوت جيدا في النحو وجيدا في القراءة.

مقدمة الكاتب

بسم الله الرّحمن الرّحيم

نحمدك يا من أوضحت لنا سبل الهداية، وأزحت عن بصائرنا غشاوة الغواية، ونصليّ ونسلم على من أرسلته شاهدا ومبشرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا. وعلى الأصحاب الذين هجروا الأوطان يبتغون من الله الفضلى والرضوان، والأنصار الذين اووا ونصروا وبذلوا لإعزاز الدين ما جمعوا وما ادخروا.

أمّا بعد: فيقول محمد الخضري بن المرحوم الشيخ عفيفي الباجوري: كنت أجد من نفسي منذ النشأة الأولى ارتياحا لقراءة تواريخ السّالفين وقصص الغابرين وأجدها لعقل الإنسان أحسن مهذبّ وأنصح معلم. وكنت أرى في تاريخ نبينّا عليه الصلاة والسلام وما لقيه من أذى قومه حينما دعاهم إلى الحقّ وعظيم صبره حتى هجر أوطانه وبلاده أعظم مربّ لأفكار المسلمين، فإنه يدلهّم على ما يجب اتباعه وما يلزم اجتنابه ليسودوا كما ساد سابقوهم، وخصوصا ما يتعلقّ بالحكّام من اجتذاب النفوس النافرة والتأليف بين القلوب المختلفة، وما يتعلقّ بقواد الجيوش من تأليف الرجال وإحكام المعدّات حتى يتم لهم النصر على أعدائهم، وما يتعلقّ بالعامّة من اتحاد قلوبهم وصيرورتهم يدا على من سواهم. فكنت أجد من قراءتها ارتياحا عظيما وكانت نفسي كثيرا ما تأسف على ترك المسلمين لها! فقلمّا أجد من يشتغل بها ولكني كنت أقدم لهم العذر بتطويل الكتب المؤلفة في هذا الموضوع. فلمّا قدمت مدينة المنصورة جمعتني النوادي مع محمود بك سالم القاضي بمحكمة المنصورة المختلطة فوجدت منه علما بدينه تقف دونه فحول الرجال وتتأخّر عن مسابقته فيه الأبطال، فقلمّا توضع مسألة دينية إلاّ وجدته مبرزا فيها مفصحا عن الجواب عنها، أمّا علمه بسيرة الرسول الأكرم صلىّ الله عليه وسلمّ فعنده منها الخبر اليقين. وكنت كثيرا ما أسمعه يتشوّف لعمل سيرة خالية من الحشو والتعقيد تنتفع بها عامّة المسلمين فقلت: يا الله! لقد وافق هذا السيد الكريم ما في نفسي

ولكني كنت أرى في عزيمتي قصـــورا عن تنفيذ رغبتـه وتتميم أمنيتـه فـإن المقام عظيم وصـعوباته أعظم، ولكن لم أر من الأمر بدا تلقاء ما كنت أسمعه من كبار رجال المنصـورة، فإنهم أكثروا من الأماني لعمل هذا الكتاب العميم النفع، الجزيل الفائدة. فقمت معتمدا على الله راجيا منه أن يوفقني لما فيه رضـاه، وواصلت السير بالسرى حتى بلغت ال م نى فجاء بحمد الله سـهل المنال عذب المورد تنتفع به العامّة وترجع إليه الخاصـة. وقد كان موردي في تأليفه القران الشريف وصـحيح السّنة ممّا رواه الإمامان البخاري ومسلم، ولم أخرج عنهما إلاّ فيما لا بدّ من تفهيم العبارات، فكان يسـاعدني «الشفاء» للقاضـي عياض، و «السيرة الحلبية» ، و «المواهب اللدنية» للقسـطلاني، و «إحياء علوم الدين» للغزالي. هذا وأسـأل الله من فيض فضله أن يوفق أئمتنا وأمراءنا للاقتداء بسيدنا ومولانا رسول الله صلىّ الله عليه وسلمّ وإحياء معالم دينه حتى يؤيدوا بروح من عند الله. وقد ان أن نشرع فيما قصدناه مستعينين بحول الله فنقول:

النسب الشريف

السيد الأكرم الذي شرف الناس بوجوده هو محمد بن عبدالله من زوجه آمنة بنت وهب الزهرية القرشية

- قوله)الذي شرف الناس بوجوده(أي شرف الناس برسالته عليه الصلاة والسلام أما بوجوده فإنه لم يحصـل للناس شـرف إلا بعد أن بعث بالرسـالة؛ ولهذا يعتبر الذين يحتفلون بعيد الميلاد النبوي يعتبر خطـأ؛ لأنـه لو قدر أنـه كـان هنـاك احتفـال لكنـا احتفال بشـيئين : ببعثته وبهجيرته ؛ أما بعثته فقد شـع منها النور أما هجرته فقد شـع منها الملك الدولة أما مجرد ولادته فلم يحصد الناس النور الذي حصل ببعثته. فقوله شرفنا بوجوده فيها نظر والصواب أن يقال برسالته أي نالوا الشرف برسالته.

ابن عبد المطلب من زوجه فاطمة بنت عمر المخزومية القرشية. وكان عبد المطلب شيخا معظّما في قريش يصدرون عن رأيه في مشكلاتهم ويقدمونه في مهماتهم.

- ويدل هذا أن النبي سجد يوم حنين يقول أنا النبي لا كذب أنا ابن عبدالمطلب ولم يقل أنا ابن عبدالله لأن عبدالمطلب أشهر من عبدالله لأنه سيد في قومه فانتمي النبي إليه في مقام الشجاعة والإقدام
- هل يجوز أن نقول على الرسول مولانا؟

نعم، المولي يطلق على عدة أنواع يقال مولى فلان أي سيده ولا شك أنه سيدنا

)ابن هاشم(من زوجه سلمى بنت عمرو النجّارية»

الخزرجية)ابن عبد مناف(من زوجه عاتكة بنت مرّة السلمية(.

)ابن قصـــيّ (من زوجه حبىّ بنت حليل الخزاعية. وكان إلى قصـــيّ في الجاهلية حجابة البيت

، وسقاية الحاج، وإطعامه المسمّى بالرفادة، والندوة هي الشورى لا يتم أمر إلاّ في بيته، واللواء: لا تعقد راية لحرب إلاّ بيده، ولمّا أشرف على الموت جعلها في يد أحد أولاده عبد الدار، لكن بنو عبد مناف أجمعوا رأيهم على ألا يتركوا بني عمهم عبد الدار يستأثرون بهذه المفاخر، وكاد يفضي الأمر إلى القتال لولا أن تدارك الأمر عقلاء الفريقين، فأعطوا بني عبد مناف السقاية والرفادة فدامتا فيهم إلى أن انتهتا للعباس بن عبد المطلب ثم لبنيه من بعده، أمّا الحجابة فبقيت بيد بني عبد الدار، وأقرّها لهم الشرع فهي فيهم إلى الان.)وهم بنو شيبة بن عثمان بن أبي طلحة بن عبد العزّى بن عثمان بن عبد الدار(، وأمّا اللواء فدام فيهم حتى أبطله الإســـلام، وجعله حقا للخليفة على المســـلمين يضـــعه فيمن يراه صـــالحا له وكذلك الندوة،)وقصي بن كلاب(من زوجه فاطمة بنت سعد وهي يمانية من أزد شنوءة)ابن مرّة(من زوجه هند بنت سرير من بني فهر بن مالك)ابن كعب (من زوجه وحشية بنت شيبان

من بني فهر أيضا)ابن لؤيّ (من زوجه أم كعب مارية بنت كعب من قضاعة)ابن غالب (من زوجه أم لؤي سلمى بنت عمرو الخزاعي)ابن فهر (من زوجه أم غالب ليلى بنت سعد من هذيل، وفهر هو قريش- في قول الأكثرين-

وكانت قريش اثنتي عشـرة قبيلة: بنو عبد مناف، وبنو عبد الدار بن قصـي، وبنو أسـد بن عبد العزّى بن قصـي، وبنو زهرة بن كلاب، وبنو مخزوم بن يقظة بن مرّة، وبنو تيم بن مرّة، وبنو عدي بن كعب، وبنو سـهم بن هصـيص بن عمرو بن كعب، وبنو عامر بن لؤي، وبنو تيم بن غالب، وبنو الحارث بن فهر، وبنو محارب بن فهر، والمقيمون منهم بمكّة يسـمون «قريش البطاح» ، والذين بضـواحيها «قريش الظواهر»)ابن مالك(من زوجه جندلة بنت الحرث من جرهم)ابن النضـر (من زوجه عاتكة بنت عدوان من قيس عيلان)ابن كنانة(من زوجه برّة بنت مر بن أد)ابن خزيمة(من زوجه عوانة بنت سـعد من قيس عيلان)ابن مدركة (من زوجه سـلمى بنت أسـلم من قضـاعة)ابن إلياس(من زوجه خندف المضـروب بها المثل في الشرف والمنعة.)ابن مضر(من زوجه الرباب بنت جندة بن معد)ابن نزار(من زوجه سودة بنت عك.)ابن معد (من زوجه معانة بنت جوشم من جرهم.)ابن عدنان (.

هذا هو النسب المتّفق على صحته من علماء التاريخ والمحدّثين، أمّا النسب فوق ذلك فلا يصحّ فيه طريق، غاية الأمر أنهّم أجمعوا على أن نسـب الرسـول صـلىّ الله عليه وسـلمّ ينتهي إلى اسماعيل بن إبراهيم «9» أب العرب المستعربة

- قوله العرب العاربة و المستعربه؛ لأن العرب نوعان فمن أصلهم العربية يقال فيهم العرب العاربة كقحطان في اليمن، ومن كان مسـتعربا فقد أخذ العربية عن هؤلاء كإسماعيل لأنه لغته لغة أبيه وليست اللغة العربية لكنه أخذ العربية حينما نزل بمكة وأتوا إليه من حولها تعلم العربيه فسموا عراب مستعربة

- هذا مستند إلى القرآن الكريم فإن إبراهيم وإسماعيل كانا يقولان " ربنا وابعث فيهم رسـولا منهم يتلوا عليهم آياتك " وقد أجمع المسـلمون على أنه لا يوجد رسـول من بني إسماعيل إلا محمد صلى الله عليه وسلم

حديث الترمذي ضعيف لعلتين ذكرهما ابن القيم وهما : الانقطاع بين سعيد وأنس وضعف علي بن زيد والله أعلم

نسب شريف كما ترى آباء طاهرون وأمهات طاهرات لم يزل عليه الصلاة والسلام ينتقل من أصلاب أولئك إلى أرحام هؤلاء حتى اختاره الله هاديا مهديا، من أوسط العرب نسبا فهو من صـــميم قريش التي لها القدم الأولى في الشـــرف وعلو المكانة بين العرب، ولا تجد في سـلسـلةآبائه إلا كراما، ليس فيهم مسـترذل بل كلهم سـادة قادة، وكذلك أمهات آبائه من أرفع قبائلهم نشأن.

ولا شك أن شرف النسب وطهارة المولد من شروط النبوة. وكل اجتماع بن آبائه وأمهاته كان شرعيا بحسب الأصول العربية، ولم ينل نسبه شيء من سفاح الجاهلية بل طهره الله من ذلك والحمد لله

زواج عبدالله بآمنة وحملها.

كان عبد الله بن عبد المطلب من أحب ولد أبيه إليه، فزوجه امنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، وسنه ثماني عشرة سنة، وهي يومئذ من أفضل نساء قريش نسبا وموضعا. ولما دخل عليها حملت بالرسـول صـلىّ الله عليه وسـلمّ. ولم يلبث أبوه أن توفي بعد الحمل بشهرين، ودفن بالمدينة عند أخواله بني عدي بن النجار، فإنه كان قد ذهب بتجارة إلى الشام. فأدركته منيته بالمدينة وهو راجع ، ولمّا تمّت مدة حمل امنة وضعت ولدها، فاستبشر العالم بهذا المولود الكريم الذي بثّ في أرجائه روح الآداب وتمّم مكارم الأخلاق.

- قوله (استبشر العالم)هذا إن أراد أنه في النهاية فهو حق أن الناس فرحوا بالرسول الكريم، وإن قصد عند وضعه فهذا ليس صحيح لأنه لم يعلم أنه نبي، وأما ما ذكر من شق إيوان كسرى وكذا وكذا هذا لا أصل له

وقد حققّ المرحوم محمود باشا الفلكي أن ذلك كان صبيحة يوم الاثنين تاسع ربيع الأوّل الموافق لليوم العشرين من أبريل سنة 571 من الميلاد، وهو يوافق السنة الأولى من حادثة الفيل وكانت ولادته في دار أبي طالب بشعب بني هاشم . وكانت قابلته الشّفاء أم عبد الرحمن بن عوف، ولما ولد أرسلت أمه لجده تبشّره فأقبل مسرورا وسمّاه محمدا ، ولم يكن هذا الاسم شائعا قبل عند العرب، ولكن أراد الله أن يحققّ ما قدره وذكره في الكتب التي جاءت بها الأنبياء كالتوراة والإنجيل، فألهم جدّه أن يسميه بذلك إنفاذا لأمره، وكانت حاضنته أم أيمن بركة الحبشية أمة أبيه عبد الله، وأول من أرضعه ثويبة أمة عمه أبى لهب.

الرضاع

وكان من عادة العرب أن يلتمسوا المراضع لمواليدهم في البوادي ليكون أنجب للولد ، وكانوا يقولون: إن المربىّ في المدن يكون كليل الذهن فاتر العزيمة، فجاءت نسوة من بني سعد بن بكر يطلبن أطفالا يرضعنهم، فكان الرضيع المحمود من نصيب حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية، واسم زوجها أبو كبشة ، وهو الذي كانت قريش تنسب له الرسول صلىّ الله عليهوسلمّ حينما يريدون الاستهزاء به فيقولون:

هذا ابن أبي كبشة يكلمّ من السماء! ودرّت البركات على أهل ذاك البيت الذين أرضعوه مدة وجوده بينهم وكانت تربو عن أربع سنوات

- قال أبو سفيان حين كلم هرقل عن صفة النبي صلى الله عليه وسلم وشعر أن هرقل خاق ، قال لقد أمر أمر بن أبي كبشة أن يخافه بن أبي الأصفر ، وفي ذلك الوقت

كانت الروم والفرس أكبر دولتين في الشرق الأوسط . وأراد الله حتى فتحت الروم والفرس.

حادثة شق الصدر

وحصل له وهو بينهم حادثة مهمة وهي شق صدره وإخراج حظّ الشيطان منه ، فأحدث ذلك عند حليمة خوفا فردّته إلى أمه وحدثتها قائلة: بينما هو وإخوته في بهم لنا خلف بيوتنا إذ أتى أخوه يعدو فقال لي ولأبيه: ذاك أخي القرشـــي قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض، فأضجعاه، فشقاّ بطنه فهما يسوطانه «4» . فخرجت أنا وأبوه نحوه فوجدناه منتقعا لونه ، فالتزمته والتزمه أبوه، فقلنا له: مالك يا بنيّ؟ فقال: جاءني رجلان عليهما ثياب بيض، فقال أحدهما لصاحبه: أهو هو؟ قال نعم. فأقبلا يبتدراني فأضجعاني فشقا بطني، فالتمسا فيه شيئا، فأخذاه وطرحاه ولا أدري ما هو.

- بعض أهل العلم ينكر هذا الشق ويقول أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما شق صدره ليلة الإسراء وأما هذه القصة لم تثبت وهذا هو الأقرب

وفاة آمنة وكفالة عبد المطلب ووفاته وكفالة أبي طالب

ثم إن أمه أخذته منها، وتوجّهت به إلى المدينة لزيارة أخوال أبيه بني عدي بن النجار، وبينما هي عائدة أدركتها منيتها في الطريق فماتت بالأبواء فحضنته أم أيمن، وكفله جدّه عبد المطلب، ورقّ له رقة لم تعهد له في ولده، لما كان يظهر عليه مما يدل على أن له شـــأنا عظيما في المستقبل، وكان يكرمه غاية الإكرام، ولكن لم يلبث عبد المطلب أن توفي بعد ثماني سنوات من عمر الرسول صلىّ الله عليه وسلمّ ، فكفله شقيق أبيه أبو طالب فكان له رحيما وعليه غيورا، وكان أبو طالب مقلّا من المال فبارك الله له في قليله، وكان الرسول صلىّ الله عليه وسلمّ في مدة كفالة عمه مثال القناعة، والبعد عن السفاسف التي يشتغل بها الأطفال عادة، كما

روت ذلك أم أيمن حاضـــنته، فكان إذا أقبل وقت الأكل جاء الأولاد يختطفون وهو قانع بما سييسره الله له.

- من قوله تعالى " ألم يجدك يتيما فأوى" أبوه مات وهو حمل وأمه ماتت وهو صـــغير وكفله جده عبد المطلب وســـيد ســـادات قريش ومع هذا أعطفه الله عليه فكان يكرمه ويجله أكثر من ولده.

السفر إلى الشام

ولما بلغت سـنةّ عليه الصـلاة والسـلام اثنتي عشـرة سـنة، أراد عمّه وكفيله السـفر بتجارة إلى الشـام، فاستعظم الرسـول صـلىّ الله عليه وسلمّ فراقه، فرقّ له، وأخذه معه، وهذه هي الرحلة الأولى، ولم يمكثوا فيها إلاّ قليلا، وقد أشـرف على رجال القافلة وهم بقرب بصـرى بحيرى الراهب ، فسألهم عما راه في كتبهم المقدسة من بعثة نبي من العرب في هذا الزمن، فقالوا إنه لم يظهر للان ، وهذه العبارة كثيرا ما كان يلهج بها أهل الكتاب من يهود ونصـارى قبل بعثة الرسول صلىّ الله عليه وسلمّ فلَمَّا جاءَ ه م ما عَرَف وا كَف رَوا بِهِ فلَ عَنةَ اللَّ عَلىَ ا لكافِرِينَ .

- قصة الراهب ليست بصحيحة؛ تحتاج للتحري مثلها مثل قصة شق الصدر

حرب الفجار

ولما بلغت سنةّ عليه الصلاة والسلام عشرين سنة حضر حرب الفجار، وهي حرب كانت بين كنانة ومعها قريش، وبين قيس. وسـببها أنه كان للنعمان بن المنذر ملك العرب بالحيرة تجارة يرسـلها كل عام إلى سـوق عكاظ لتباع له، وكان يرسـلها في أمان رجل ذي منعة وشـرف في قومه ليجيزها ، فجلس يوما وعنده البرّاض بن قيس الكناني وكان فاتكا خليعا خلعه قومه لكثرة

شرّه وعروة بن عتبة الرحّال فقال: من يجيز لي تجارتي هذه حتى يبلغها عكاظ؟ فقال البراض: أنا أجيزها على بني كنانة، فقال النعمان: إنمّا أريد من يجيزها على الناس كلهم؟ فقال: عروة أبيت اللعن «4» أكلب خليع يجيزها لك؟ أنا أجيزها على أهل الشّـيح والقيصـوم من أهل نجد «5» وتهامة «6» فقال البرّاض: أو تجيزها عل كنانة يا عروة؟

قال: وعلى الناس كلهّم، فأسـرّها في نفســه، وتربصّ له حتى إذا خرج بالتجارة، قتله غدرا، ثم أرسلوا رسـولا يخبر قومه كنانة بالخبر، ويحذرهم قيسا قوم عروة. وأما قيس فلم تلبث بعد أن بلغها الخبر أن همّت لتدرك ثأرها، حتى أدركوا قريشا وكنانة بنخلة «7» ، فاقتتلوا، ولما اشتدّ البأس، وحميت قيس، احتمت قريش بحرمها، وكان فيهم رسول الله صلىّ الله عليه وسلمّ. ثم أن قيسا قالوا لخصومهم: إناّ لا نترك دم عروة، فموعدنا عكاظ العام المقبل، وانصرفوا إلى بلادهم يحرّض بعضـــهم بعضــا، فلما حال الحول جمعت قيس جموعها وكانت معها ثقيف وغيرها، وجمعت قريش جموعها من كنانة والأحابيش)وهم حلفاء قريش(وكان رئيس بني هاشـــم الزبير بن عبد المطلب ومعه اخوته أبو طالب وحمزة والعباس وابن أخيه النبي الكريم صلىّالله عليه وسلمّ، وكان على بني أمية حرب بن أمية، وله القيادة العامّة لمكانه في قريش شرفا وسناّ. وهكذا كان على كل بطن من بطون قريش رئيس ثم تناجزوا الحرب، فكان يوما من أشدّ أيام العرب هولا، ولمّا اســتحلّ فيه من حرمات مكة التي كانت مقدّســة عند العرب ســمي يوم الفجار. وكادت الدائرة تدور على قيس حتى انهزم بعض قبائلها ولكن أدركهم من دعا المتحاربين للصلح على أن يحصوا قتلى الفريقين، فمن وجد قتلاه أكثر أخذ دية الزائد، فكانت لقيس زيادة أخذوا ديتها من قريش، وتعهد بها حرب بن أمية، ورهن لسدادها ولده أبا سفيان.

وهكذا انتهت هذه الحرب التي كثيرا ما تشبه حروب العرب تبدؤها صغيرات الأمور حتى ألفّ الله بين قلوبهم وأزاح عنهم هذه الضلالات بانتشار نور الإسلام بينهم.

- لما سئل الرسول صلى الله عليه وسلم عن أبيه قال هو في النار فلما انصرف ناداه وقال له أبي وأبوك في النار، وأما أمه استأذن الرسول صلى الله عليه وسلم عن استغفاره لأمه فرفض، واستأذنه في زيارة قبرها فأذن له

حلف الفضول

وعند رجوع قريش من حرب الفجار تداعوا لحلف الفضـــول فتمّ في دار عبد الله بن جدعان التميمي «4» أحد رؤساء قريش، وكان المتحالفون بني هاشم، وبني المطلب ابني عبد مناف، وبني أسد بن عبد العزى، وبني زهرة بن كلاب، وبني تيم بن مرة تحالفوا وتعاقدوا ألا يجدوا بمكة مظلوما من أهلها أو من غيرهم من ســائر الناس إلا قاموا معه، حتى تردّ إليه مظلمته، وقد حضـر هذا الحلف رسـول الله صـلىّ الله عليه وسـلمّ مع أعمامه، وقال بعد أن شـرّفه الله بالرســالة: «لقد شــهدت مع عمومتي حلفا في دار عبد الله بن جدعان ما أحب أن لي به حمر النعّم ولو دعيت به في الإســلام لأجبت، وذلك لأنه عليه الصــلاة والســلام مبعوث بمكارم الأخلاق وهذا منها وقد أقرّ دين الإســلام كثيرا منها، يرشــدك إلى هذا قوله عليه الصـــلاة والسلام: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق، وقد دعا بهذا الحلف كثيرون فأنصفوا.

- وهذه الحلف الذي أقاموه في الجاهلية لا شـك أنه من الإسـلام لأن الواجب رد المظالم إلي أهلها وهؤلاء إن تحالفوا وهم من قبائل شــتى كان في ذلك قومة وفي هذا حكمة من الله أن يكون هذا البيت في مكة يتفق الناس حتى الجاهلية على رد المظالم فيه .

رحلته إلى الشام المرة الثانية

ولما بلغت سنه عليه الصلاة والسلام خمسا وعشرين سنة سافر إلى الشام المرّة الثانية، وذلكأن خديجة بنت خويلد الأســدية كانت ســيدة تاجرة ذات شــرف ومال، تســتأجر الرجال في مالها وتضـاربهم إياه، فلما سمعت عن السيد من الأمانة وصدق الحديث ما لم تعرفه في غيره حتى

سماه قومه الأمين، استأجرته ليخرج في مالها إلى الشام تاجرا، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره، فسافر مع غلامها ميسرة فباعا وابتاعا وربحا ربحا عظيما، وظهر للسيد الكريم في هذه السفرة من البركات ما حببّه في قلب ميسرة غلام خديجة

زواجه خديجة

فلمّا قدما مكّة ورأت خديجة ربحها العظيم سرّت من الأمين عليه الصلاة والسلام، وأرسلت إليه تخطبه لنفسها، وكانت سنها نحو الأربعين وهي من أوسط قريش حسبا وأوسعهم مالا.
فقام الأمين عليه الصلاة والسلام مع أعمامه حتى دخل على عمّها عمرو بن أسد فخطبها منه بواسطة عمه أبي طالب فزوجها عمها. وقد خطب أبو طالب في هذا اليوم فقال: الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم، وزرع إسماعيل، وضئضيء معدّ وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسوّاس حرمه وجعله لنا بيتا محجوجا، وحرما امنا، وجعلنا حكّام الناس. ثم إن ابن أخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به رجل شرفا ونبلا وفضلا، وإن كان في المال قلّ، فإنّ المال ظل زائل، وأمر حائل، وعارية مستردّة، وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم، وخطر جليل، وقد خطب إليكم رغبة في كريمتكم خديجة، وقد بذل لها من الصّداق)كذا(وعلى ذلك تمّ الأمر. وقد كانت متزوجة قبله بأبي هالة توفي عنها وله منها ولد اسمه هالة وهو ربيب المصطفى عليه الصلاة والسلام.

بناء البيت

ولما بلغت سنه عليه الصلاة والسلام خمسا وثلاثين سنة. جاء سيل جارف فصدّع جدران الكعبة بعد توهينها من حريق كان أصابها قبل، فأرادت قريش هدمها ليرفعوها ويسقفوها. فإنها كانت رضيمة فوق القامة، فاجتمعت قبائلهم لذلك. ولكنهم هابوا هدمها لمكانها في قلوبهم. فقال لهم الوليد بن المغيرة:

أتريدون بهدمها الإصلاح أم الإساءة؟ قالوا: بل الإصلاح، قال: إن الله لا يهلك المصلحين.

وشرع يهدم فتبعوه وهدموا حتى وصلوا إلى أساس إسماعيل .

وهناك وجدوا صحافا نقش فيها كثير من الحكم على عادة من يضعون أساس بناء شهير ليكون تذكرة للمتأخرين بعمل المتقدّمين. ثم ابتدؤوا في البناء وأعدّوا لذلك نفقة ليس فيها مهربغيّ ولا بيع ربا ، وجعل الأشراف من قريش يحملون الحجارة على أعناقهم، وكان العباس ورسول الله صلىّ الله عليه وسلمّ فيمن يحمل، وكان الذي يلي البناء نجار رومي اسمه باقوم ، وقد خصّص لكل ركن جماعة من العظماء ينقلون إليه الحجارة، وقد ضاقت بهم النفقة الطيبة عن إتمامه على قواعد اسماعيل، فأخرجوا منها الحجر، وبنوا عليه جدارا قصيرا علامة على أنه من الكعبة. ولمّا تمّ البناء ثماني عشرة ذراعا بحيث زيد فيه عن أصله تسعة أذرع ورفع الباب عن الأرض بحيث لا يصعد إليها إلاّ بدرج أرادوا وضع الحجر الأسود موضعه، فاختلف أشرافهم فيمن يضعه، وتنافسوا في ذلك حتى كادت تشبّ بينهم نار الحرب، ودام بينهم هذا الخصام أربع ليال، وكان أسنّ رجل في قريش إذ ذاك أبو أمية بن المغيرة المخزومي عم خالد بن الوليد فقال لهم: يا قوم لا تختلفوا وحكّموا بينكم من ترضون بحكمه. فقالوا: نكل الأمر لأوّل داخل، فكان هذا الداخل هو الأمين المأمون عليه الصلاة والسلام، فاطمأن الجميع له لما يعهدونه فيه من الأمانة وصدق الحديث وقالوا: هذا الأمين رضيناه، هذا محمد لأنهم كانوا يتحاكمون إليه إذ كان لا يداري ولا يماري. فلما أخبروه الخبر بسط رداءه، وقال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم وضع فيه الحجر وأمرهم برفعه حتى انتهوا إلى موضعه فأخذه ووضعه فيه. وهكذا انتهت هذه المشكلة التي كثيرا ما يكون أمثالها سببا في انتشار حروب هائلة بين العرب لولا أن يمنّ الله عليهم بعاقل مثل أبي أمية يرشدهم إلى الخير، وحكيم مثل الرسول صلىّ الله عليه وسلمّ يقضي بينهم بما يرضي جميعهم، ولا يستغرب من قريش تنافسهم هذا لأن البيت قبلة العرب وكعبتهم التي يحجون إليها فكل عمل فيه عظيم

به الفخر والسـيادة وهو أول بيت وضــع للعبادة بشــهادة القران الكريم قال تعالى في سـورة ال عمران: {إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ}

- جملة (أتريدون بهدمها الإصـلاح أم الإسـاءة) لابد أن تكون ميزانا لكل ما يتهيب الإنسـان من فعله فإن قال أريد الإصـلاح قلنا لا بأس، وهذه قاعدة في الشـريعة الإسلامية قال تعالى "و الله يعلم المفسد من المصلح.

وكان يلي أمره بعد ولد اســـماعيل قبيلة جرهم فلما بغوا وظلموا من دخل مكة اجتمعت عليهم خزاعة وأجلوهم عن البيت، ووليته خزاعة حينا من الدهر.

ثم أخذته منهم قريش في عهد قصـــي بن كلاب وبســـببه أمنوا في بلادهم فكانت قبائل العرب تهابهم. وإذا احتموا به كان حصـــنا أمينا من اعتداء العادين، وامتنّ الله عليهم بذلك في تنزيله فقال في سورة العنكبوت: أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنا حَرَماً آمِناً وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ"